داخل المناطق المحتلة ، الا ان ما سيتكبده من خسائر مادية ومعنوية يومية سيضعف قواه ويبدل ميزان القوى ضده .

وتعتبر المرحلة الثانية المرحلة التحضيرية للحرب بكاملها ، وهي اصعب وأدق مرحلة ، بل هي المنعطف الذي يقرر مصير الحرب . واذا كانت مرحلة الهجوم الاولى للطرف العدواني قد انتهت بضياع بعض المدن والقرى والمناطق من الطرف المعتدى عليه ، فان المرحلة الثانية (مرحلة التحضير) والتي تتضافر فيها جهود الامة كلها ، تعتبر المرحلة الفاصلة بين الاستقلال والاحتلال وبين التحرر والاستسلام . فاذا ما امكن المحافظة خلال حرب التحرير على الوحدة في الصف واطالة أمد الحرب ، فان الطرف المعتدى عليه سيظفر في النهاية حتما .

اما المرحلة الثالثة فهي « مرحلة القيام بالهجوم المعاكس لاستعادة الارض المحتلة » ويعتمد الطرف المعتدى عليه في استرجاع ارضه المحتلة على القوى التي تم اعدادها في الفترة التحضيرية والتي يجب على هذا الطرف زيادتها وتطويرها . وقد تكون هذه القوى غير كافية لدحر العدوان ، وعندئذ يجب على الطرف المعتدى عليه الاعتماد ايضا على دعم القوى الدولية الصديقة ، مع الاعتماد على التبدلات الحتمية في اوضاع العدو الداخلية من جراء تذمر السكان من مآسي الحرب وعدم الاستقرار ، وعلاوة على ذلك فان النشاط الدبلوماسي في الخارج للطرف المعتدى عليه ودعايته القائمة على الحق والعدالة ستمارس دورا بارزا على الصعيد الدولي .

ولا يبقى الطرف المعتدى عليه ، في هذه الفترة في وضع الدفاع الاستراتيجي، بل ينتقل الى الهجوم المضاد الذي يأخذ شكل الهجوم الاستراتيجي . وتدور الحرب من الناحية الاستراتيجية على الخطوط الداخلية للعدو بل تنتقل تدريجيا الى خطوطه الخارجية . ولا تنتهي ما لم يتحقق النصر النهائي .

وتكون « حرب الحركة » في مرحلة الهجوم المعاكس الاستراتيجي الشكل الرئيسي للعمليات العسكرية للطرف المعتدى عليه ، بينما تكون « حرب المواقع » ذات اهمية خاصة ايضا ، وتمارس « حرب العصابات » من جديد دور دعم استراتيجي مساعد لحرب الحركة وحرب المواقع .

وبعد تحقيق النصر يخرج الشعب من هذه الحرب طويلة الامد وقد اكتسب خبرات كثيرة بعد ان تكون المحن وويلات الحرب قد صهرته في بوتقتها ، وتخرج الاحزاب التي شاركت في القتال وقد اكتسبت الخبرة ، وتجمعت حول هدف واحد ، وأزالت عوامل الفرقة .

ان الحرب طويلة الامد غير محددة بمدة زمنية ، وقد يكون من الصعب ـ ان لم يكن من المستحيل ـ افتراض او توقع عدد الاشهر او السنين التي يستمر الصراع خلالها . ذلك لان مدة الحرب تتعلق كليا بالتغيير الذي سيحصل في ميزان القوى بين الطرفين المتصارعين . واذا ما اريد تقليص مدة الحرب فان على الطرف المعتدى عليه بذل الجهود لتنمية قواته وانقاص قوى الخصم . او بكلمة اوضح فان الوسيلة الوحيدة لتقليص مدة الحرب ، هي مضاعفة الجهود لتسجيل اكبر عدد من الانتصارات العسكرية لصالح الطرف المعتدى عليه ، وتدمير اكبر عدد من قوات المعتدين المسلحة ، وذلك في سبيل تطوير حرب المقاومة ، وتضييق رقعة المناطق المحتلة ، ودعم الجبهة الموحدة وتوسيعها . ويضاف الى ذلك ضرورة انشاء قوات مسلحة جديدة وتطوير صناعات حربية جديدة لتحقيق الاسراع في احراز التقدم السياسي ، والاسراع في احراز التقدم الاقتصادي ، والاسراع في احراز التطور التقني ، والاسراع في احراز التقدم الثقافي والعلمي ، وتأمين جميع فئات الشعب وحشدها في جبهة النضال ضد المعتدين والقصد من ذلك هو تحطيم الروح المعنوية في جيش العدو ، واجتذاب جنوده نحو قضية الشعب المعتدى عليه ، وحملهم على التمرد ضد قادتهم وحكامهم ، والقاء السلاح كرها بالحرب ، واقناعا منهم بأن الشعب المعتدى عليه هو ضحية العدوان الغادر الذي دبره قادتهم ، واجتذاب شرائح واسعة من الرأي العام العالمي .

رابعا : الخط العسكري للجبهة :

لقد بدأت الجبهة الشعبية نضالها العسكري العلني منذ ١٩٦٧ ونتيجة لهزيمة حزيران (حيث كانت حركة القوميين العرب قبل ذلك بوقت طويل قد شكلت جهازا مهمته خوض القتال السري ضد العدو الصهيوني) ووضعت

الجبهة كافة امكانياتها في تلك الفترة من اجل ايجاد الجهاز المقاتل القادر على القيام بمهمات قتالية (ضد العدو الصهيوني) . وتمكنت الجبهة رغم كافة الصعوبات التي كانت تعترضها من ايجاد قوة مقاتلة مرابطة في مناطق الاغوار في الاردن ، حددت مهماتها الاساسية ، بما يلي :

مهمات المرحلة الاولى :

١ ـ رفد الداخل بكافة الامكانات والقدرات العسكرية والسياسية .

٢ ـ ان تكون المهمة الاولى ولفترة من الزمن نقل الاسلحة وتخزينها داخل الارض المحتلة ، وعدم خوض معارك مع العدو في تلك الفترة ، حتى لا يتنبه العدو ، ويقيم الحواجز ، ويخلق الصعوبات في وجه دورياتنا المتجهة نحو الارض المحتلة .

٣ ـ ان يتم تأمين الاتصال في المنطقة المحتلة عام ١٩٤٨ وخلق بؤر عسكرية ، مدربة ومجهزة .

٤ ـ تزويد الداخل بالكوادر العسكرية والسياسية بواسطة القواعد المتمركزة في منطقة الاغوار وجنوب الاردن .

لقد كانت الجبهة اكثر التنظيمات تنبها لهذه المهمات ، وفهما لطبيعة معاركنا مع العدو في الفترة المقبلة . وكانت مصرة على الدفع بهذا الخط وانجاحه ، بينما كان العدو يبحث عن الاساليب الكفيلة بمنع الفدائيين من الدخول الى الارض المحتلة .

ان هذه الفترة يجب ان نعتبرها فترة تمهيدية ، لترتيب اوضاعنا في الداخل وتعزيز قوتنا وتثقيف جماهيرنا ، وتدريبها ، وجعلها مستعدة لخوض قتال طويل داخل الارض المحتلة . وكان التركيز باستمرار على الداخل لانه الاساس وان القوات المتواجدة خارج الارض المحتلة هي لرفد الداخل وتدعيمه وليست هي البديل عنه ، وان النظام الاردني العميل ، يستمر في تدبير المؤامرات لسحقنا خارج الارض المحتلة ، متحالفا مع كافة الانظمة الرجعية ، والامبريالية، واستمر اسلوب المقاومة العام متمثلا بالقتال من الخارج (قصف من خارج

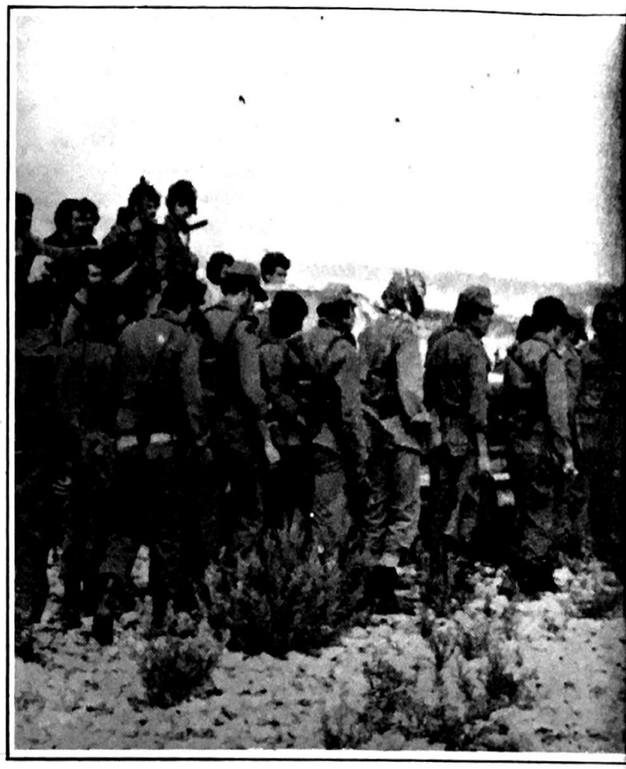

النهر ، زراعة الغام ، كمائن لدوريات النهر الخ ...) ، وهنا بدأت تبرز اساليب العدو في مواجهتنا . لقد كان النهر ـ نهر الاردن ـ يشكل حاجزا طبيعيا، وفي فصل الصيف كان من السهل اجتيازه ولكن في الشتاء لم يكن ذلك سهلا ، رغم كل الاساليب المتكررة ، التي كان قسم منها ينجح وقسم اخر يتعثر . في تلك الفترة اقام العدو بالاضافة للحاجز الطبيعي ، حواجز اصطناعية عديدة استمر في تطويرها كوما بعد يوم . لقد بنى العدو على طول نهر الاردن « دشم عسكرية » محصنة وقوية وكانت معروفة بمراكز المراقبة ، المسافة بين كل دشمة واخرى كان يتراح بين ١٥٠٠ م الى ٤٠٠٠ متر . ووضع بين هذه المراكز كمائن وحقول الغام ، وكذلك فعل في منطقة جنوب الاردن ، فاصبحت الامور معقدة اكثر من الفترة السابقة ، واصبحت القوة المتوجهة نحو الداخل مضطرة لاستطلاع اكثر دقة واطول من الفترة السابقة . ورغم وجود هذه الحواجز تمكنت المقاومة من اجتيازها ونسفها وتحطيمها في كثير من الحالات ، ومهاجمة « مراكز المراقبة » ، حتى اضطر العدو في كثير من الحالات لاخلائها والتمركز في نقاط خلفية مسيطرة بحيث يتعامل مع القوة المهاجمة من موقع غير مكشوف وغير ثابت . كل هذه الصورة التي سجلتها بطولات المقاتلين جعلت العدو يفكر باتباع تكتيك جديد ، وهو ان ينتظر الفدائيين حتى يقتربوا من مواقعه فيقاتلهم ، ثم ابتدأ في اتباع تكتيك القضاء على القواعد في منطقة الغور ، وكان ابرز نشاط للعدو في هذا الاتجاه هو معركة الكرامة عام ١٩٦٨ حيث كانت تتواجد فيها اعداد كبيرة من المقاتلين من مختلف الفصائل . وكانت الجبهة حين ذاك (بكافة فصائلها) (جبهة التحرير ـ ابطال العودة ـ شباب الثأر) متواجدة في الجبال شرق الكرامة .

في تلك الفترة كانت الدلائل والمعلومات تشير الى ان العدو سيقوم بهجوم واسع على منطقة الاغوار ، وبشكل اساسي على منطقة الكرامة . تقدم العدو الى المنطقة ، بعد ان قام الطيران بتمهيد للقوات البرية ، وقصف كافة المواقع الخلفية للمقاومة ، وللجيش الاردني ، حتى يمنع الاسلحة والقوات من الفعل اثناء عبور قواته بواسطة الجسور الاساسية على النهر ، او الجسور المتحركة التي استخدمها في عمليات العبور . ولكن رغم عمليات سلاح الجو « الاسرائيلي » تلك الا ان قوات المقاومة تصدت للعدو واوقعت في صفوفه خسائر كبيرة .

وصمدت المقاومة وقاتلت في الكرامة ، رغم ان العدو تمكن من السيطرة سيطرة كاملة على المنطقة لمدة ٤٤ ساعة انسحب بعدها مخلفا الدمار والخراب . وعددا من آلياته المدمرة والمعطوبة .

لقد سجلت المقاومة بطولات رائعة في هذه المعركة ، مما ادى الى تصليبها والتفاف الجماهير حولها وانخراط اعداد كبيرة في صفوفها .

وبعد هذه المعركة انتشرت قواعد المقاومة في مختلف مناطق الاغوار متحدية السلطة الاردنية العميلة ، واوجدت بذلك قواعد ارتكاز قوية ، وادخلت للمنطقة اسلحة ثقيلة ومتوسطة ، بعد ان كانت كافة الاسلحة لا تتعدى الاسلحة الفردية والرشاشات المتوسطة .

لقد كانت معركة الكرامة خطوة هامة على طريق التحول من تواجد شبه علني الى تواجد علني وقوي في الاردن . وقامت الجبهة بتعزيز قواتها في الاغوار وفي شمال الاردن وجنوبه ، ورسمت مخططا واضحا للتواجد في لبنان ، وايجاد قوة عسكرية علنية في لبنان .

في هذه المرحلة من النضال واجهتنا اساليب متطورة من قبل العدو ، للحد من تدفق الدوريات الى الارض المحتلة . ومن الاساليب التي اتبعها العدو :

١ ـ اقامة موانع بالاسلاك من الشمال الى الجنوب في منطقة وادي الاردن .

٢ ـ شق طرق ترابية بين كافة مواقعه ، ومعبدة في مناطق اخرى ، وشق طرق للآليات والسيارات العسكرية في الجبال التي تسلكها دوريات الفدائيين . ليسهل الوصول الى اي منطقة خلال فترة قصيرة .

٣ ـ دوريات الهندسة الآلية ، والراجلة التي تقوم بمهمة التفتيش كل يوم لكافة الطرقات المحاذية للنهر ، والمستخدمة في العبور من قبل الفدائيين .

٤ ـ وضع اجهزة انذار في المناطق الهامة .

٥ ـ كهربة الاسلاك في بعض المناطق .

٦ ـ وضع اجهزة بث وتنصت .

٧ ـ اعتبار جزء كبير من منطقة الاغوار في الضفة الغربية منطقة محذور دخولها على غير العسكريين وكذلك في جنوب الاردن (وادي عربة) وعلى طول الخط المحاذي لجنوب لبنان .

كيف واجهت المقاومة اساليب العدو هذه ؟

١ ـ لقد تمكنت بعض القيادات العسكرية للمقاومة من ايجاد حلول لهذه المعوقات التكنولوجية ، تارة بوسائل بدائية ، وتارة اخرى بوسائل علمية متقدمة بدءا باستخدام (السلالم الحبلية) مرورا باستخدام ادوات التمويه للاثر الذي يتركه المقاتلون اثناء اجتيازهم الطرق الترابية ، وانتهاء باستخدام (السلالم القفازة) التي تنقل المقاتل دون ان يمر بالطريق الترابي المعد لكشف اثار اقدام افراد الدوريات .

٢ ـ اما الحواجز المكهربة فلم يكن لدى المقاومة اساليب فعالة لاجتيازها . الا ان الجبهة بادرت لنسف هذه الحواجز واشغال العدو بشكل مستمر تقريبا . في اعادة بنائها .

اما عن الحواجز الالكترونية فلم تظهر في الحواجز المحاذية لنهر الاردن . ولكنها موجودة وبشكل محدود جدا في الحواجز التي اقامها العدو على الحدود الفلسطينية اللبنانية وقرب المواقع الحساسة والمأهولة بالسكان ، والمصانع الهامة . وهذه الاجهزة الالكترونية ، عبارة عن شبكات تقوم بنقل المعلومات المبعثرة في الميدان ، سلكيا او لاسلكيا ، الى مركز مراقبة ارضية او جوية . ولقد استخدم الاميركيون هذه الاجهزة في عدوانهم على شعب فيتنام الثائر . ولكن شعب فيتنام تحدى هذا التفوق التكنولوجي واستمر في تحقيق الانتصارات . بامكانياته البسيطة ، والتي عمل باستمرار على تطويرها ، ومن الممكن كشف مثل هذه الحواجز الالكترونية بواسطة مناظير تحت الاشعة الحمراء او اشعة لايزر ، او اساليب علمية اخرى .

ومن الاجهزة الالكترونية التي يستخدمها العدو « الاسرائيلي » ضد المقاومة في هذه الفترة :

ـ رادارات لكشف الاليات والافراد .

ـ اجهزة تنصت وشم الكترونية .

ـ اجهزة التقاط الاصوات والحرارة .

ـ اجهزة الانذار المغناطيسية .